



ملف: ندوة ”تقديم ومناقشة كتاب الدين والعلمانية في سياق تاريخي“

تونس- 5 شباط / فبراير 2016

ورقة خلفية عن الندوة

كمال عبد اللطيف

ملف ندوة "تقديم ومناقشة كتاب الدين والعلمانية في سياق تاريخي"

سلسلة: ملفات

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2016

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص. ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

org.dohainstitute.www

ورقة خلفية عن الندوة

كمال عبد اللطيف*

بَلُورُ الْمُنْجَزُ الْفِكْرِي الْأَخِيرُ لِلدُّكْتُورِ عَزْمِي بِشَارَةَ الْصَادِرِ فِي ثَلَاثَةِ مَجَلَّدَاتٍ فِي مَوْضُوعِ: **الدين والعلمانية في سياق تاريخي**، جهداً في النظر الفلسفي والسياسي يستحق المتابعة والعناية، وبخاصة أن سؤال العلمانية في تحولاته النظرية والتاريخية، يُعدُّ اليوم من بين الأسئلة التي تساهم في معاينة جوانب من أنماط وصور الصراع السياسي والثقافي وتشخيصها، والتي تدور رحاها في المجتمع العربي.

يستوعب هذا العمل جهداً بارزاً، سواء في أنماط مقارنته المتنوعة والغنية بالمعطيات النظرية والإضاءات النقدية، أو في كفاءات بسطه وبناءه لمباحث فصوله. وقد لا نبالغ عندما نعتبر أنه يُؤسس لعملٍ غير مسبوقٍ في الثقافة العربية المعاصرة؛ عملٌ يواجه فيه الدكتور عزمي بشارة إشكالات سياسية وفلسفية وتاريخية لا حصر لها، يرتب ملامحها ويركب ما يُسَعِّفه بتعقُّل أكثر تاريخية وأكثر نجاعة لواحد من أكثر الموضوعات السياسية التباساً في الفكر المعاصر.

يستمد عمل الدكتور عزمي بشارة قوته النظرية من نوعية التفكير المُوجَّه لطرائقه في البناء والتركيب، حيث يحرص على مواجهة الأحكام العامة والمواقف المُبسَّطة، ليعاين تحولات الموقف العلماني في تظاهراته السياسية والتاريخية المتعددة.

وما عزز خيارات الدكتور عزمي في رحلته الشاقة في عملية التأليف، استناده في مجلدات عمله، إلى النصوص المؤسسة للمنظور العلماني في التاريخ من ماكيافيلي إلى راولز، ومروراً بأعلام ومؤسسي الفلسفة السياسية الحديثة وخاصة هوبز ولوك، ثم فلاسفة الأنوار بتنوع مواقفهم وتناقضها من الدين ومن الدولة ومن العلاقة بينهما، إضافة

* كاتب وباحث مغربي، أستاذ الفلسفة السياسية والفكر العربي المعاصر. كلية الآداب، جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب.

إلى مواقف وتصورات ماكس فيبر وهيرماس، ومن دون إغفال اعتماده أيضاً على أهم المصنفات المعاصرة، التي اعتنت سواء في البحث الاجتماعي أو في العلوم السياسية بموضوع الدين والدولة، وموضوع العلمانية ونظرياتها ونماذجها التاريخية المتنوعة.

يترتب على هذا النوع من المقاربة في الغالب، اللجوء إلى الانتقاء أو السقوط في حبال الاكتفاء بالعرض المحايد أو العرض الجامع، الذي يكتفي ببسط القضايا من دون التفكير فيها أو مناقشتها. وقد حاول الدكتور عزمي في عمله تجنّب المحاذير التي أشرنا إليها، الأمر الذي مكّنه من بناء عمل يتسم بسمتين بارزتين وغير مسبوقتين في ما كتبت في موضوع العلمنة. يتعلق الأمر بالمنزع التأسيسي الذي اختار فيه الباحث مواجهة إشكالات سياسية وتاريخية من موقع توجّهه، وتحمّ خياراته أسئلة ذات صلة بمعارك الراهن العربي. لقد اشتغل على مدارات وزوايا عمل غير مسبوقة، ولهذا وسمنا عمله بالعمل المؤسس. أما سمته الثانية فتبرز في طابعه الموسوعي، الذي يبرز في مراهنة صاحبه على توسيع دوائر المواجهة، إضافة إلى أنه لا يُغفل محاصرة الأحكام القبليّة المتداولة في الموضوع ونقدها.

يبحث صاحب العمل في السياقات والترجمات، والشروط النظرية والنماذج التاريخية، التي ساهمت في منح العلمانية شروط صيرورتها وتحولها. كما يعمل على كشف المفارقات المرتبطة بالسياقات والتحوّلات، وهو لا يجد أي حرج في اتخاذ موقف من الأحكام الشائعة، فيبرز عيوبها ويحاول تركيب التصورات الأقرب في نظره إلى السياقات التاريخية، التي منحت، ولا تزال تمنح، لمفردة علمانية وعلمنة الدلالات والمعاني التي تقترن بها.

عقدت هذه الندوة للاقتراب من هذا العمل، والتعرّف إلى أبرز نتائجه وخلصاته، ومناقشة طرق بنائه للموضوعات والقضايا التي ركّبت في مجلداته الثلاثة بكثير من العناية والترتيب. وقد تمّ تكليف الزملاء المشاركين في الندوة بتقديم قراءتهم لهذا العمل، الذي يروم بسط وتركيب صيرورة عمليات العلمنة، محاولاً الكشف عن الصعوبات النظرية والتاريخية، التي واكبت وتواكب عمليات العلمنة في التاريخ الحديث والمعاصر.

لن نهتم في هذا التأطير العام لمنجز الدكتور عزمي بشاره، بعرض المفاصل الكبرى للمشروع، وبدل ذلك نوجّه نظرنا نحو الإشارة إلى جوانب من الخيارات المنهجية والفكرية، التي تبنّاها صاحبه سواء المعلن منها أو الذي

تستبطنه مباحث مجلداته. فقد مكنته خياراته السياسية والفلسفية من الانفتاح اليقظ على جبهات متعددة، وسمحت له المقاربة التاريخية الموسّعة والمفتوحة على مجالات معرفية متنوعة، بالوقوف مطوّلاً أمام موضوع الدين والتدين والعلمانية.

يؤمن الدكتور عزمي بأن بحثه ليس بحثاً في العلمنة بحد ذاتها، بل هو بحث في أنماط التدين السائدة في عصرنا، الأمر الذي يُفسّر الهدف من اشتغاله على مبحث الدين والتدين باعتباره المدخل المناسب في نظره، لإعادة تأسيس الدين والعلمانية في سياق تاريخي.

يُخصّص المجلد الأول من الجزء الثاني لموضوع العلمانية والعلمنة: الصيرورة الفكرية، وهو يُشكّل الحلقة الرابطة بين مجلده الأول والجزء الثاني من المجلد الثاني. وفي هذا الجزء نقف على أهم القضايا الفكرية المرتبطة بمصطلح العلمانية وعمليات العلمنة كما تشكّلت في الفكر الحديث، كما نقف على علاقة العلمنة بالتحديث. وقد أبرز في هذا الجزء الدور الذي قام به الإصلاح الديني في ما يُطلق عليه في مباحث كتابه دنيوة الدين؛ أي نزع السّحر عن علاقة الدين بالعالم.

عمل الباحث في هذا المجلد على بناء مواقف نظرية قوية، إذ حاول إبراز السياقات التي سمحت ببناء ما يُعتبر المبادئ الكبرى، التي منحت الإصلاح الديني دلالاته العميقة في مجال إيجاد المسافات المطلوبة بين الدين والدولة. وضمن هذا الإطار، أشار إلى أنّ منطق الدولة الحديثة نشأ من رجم اللاهوت، معتبراً أن الإسهام الهوبزي يُعدّ لحظة قوية في عملية استواء المنظور العلماني وتطوّره، ومن دون إغفال ربط عمليات الاستواء المذكورة، بالتحوّلات الفكرية والسياسية التي عرفتها أوروبا في القرن السابع عشر.

يرتبط السند المرجعي المعتمد في نمط مقاربة الدكتور عزمي بشارة لموضوعه بالتيارات الفلسفية الكبرى في الأزمنة الحديثة، وما رسمته من علامات نظرية وتاريخية في عملية تبلور العلمنة، ويتعلق الأمر بالحدائثة والتنوير والليبرالية.

ينتقل الباحث في الجزء الثاني من المجلد الثاني إلى موضوع نظريات العلمنة، ليعرض جملة من التجارب السياسية التي تبنّت العلمانية، محاولاً إبراز الطابع المتنوع والمتعدّد لنظريات العلمنة في تجاربها الأوروبية

وفي تجربتها في الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي سمح له باستخلاص بعض النتائج المهمة، أبرزها أنّ العلمنة تقتضي ضرورة التمييز بين المجالات المعرفية والاجتماعية، الأمر الذي يؤدي إلى نوع من التمايز تتغلب فيه أنماط المعرفة العلمية في فهم الظواهر، ويعلو فيه منطق الدولة على الدين، من دون أن يعني ذلك اندثار الدين والتدين. أما النتيجة الثانية، فتشير إلى أنّ العلمانية تعني رسم حدود الدين باعتباره فكريًا وظاهرة اجتماعية، الأمر الذي تترتب عليه احتمالات يُخصّصها كما يلي:

عندما ترفض المؤسسة الدينية الفصل بين السياسة والدين، فإنّ رفضها لا يدوم طويلًا، وقد يتخذ مسارات متعرجة إلى أن تقبل المؤسسة الدينية الفصل القائم على الخضوع لمنطق الدولة، إذ يأخذ الدين وظائف جديدة في مجالات الضمير والأخلاق وأعمال الخير الاجتماعي. كما قد يعبرّ الدين عن نفسه بأنماطٍ من الإيمان الفردي والانجذاب إلى ديانات "تبدو أكثر روحانية". وقد يبقى الدين في السياسة بعد علمنة هذه الأخيرة، إذ تقوم الدولة باستخدامه، ويحدث في حالات أخرى أن يعود الدين إلى المجال العام وذلك بتسييس الدين ضد الدولة.

يستوعب عمل الدكتور عزمي مجموعة من النتائج المهمة، وهي مبنوثة في ثنايا فصول مجلداته؛ بعضها مرتّب ومعلن في نهايات بعض الفصول في صيغ مركّبة تمهد لعمليات انتقاله من مبحث إلى آخر، وكثيرٌ منها يردُّ بصيغ تعتمد الإيجاز أو الإيحاء الهادف إلى رسم دروب أخرى في النظر، ونحن نفترض أنّ من بين عناصر قوة منجزه، مسعاهُ الهادف إلى إشعار قارئه بضرورة مواصلة التفكير في القضايا التي حاول تركيبها في عمله. وضمن هذا الأفق بالذات، نتصور أنّ ندوتنا تتوخّى مواصلة التفكير في هذا العمل؛ مواصلة التفكير في أسئلته ونتائجه.

ينفتح موضوع هذا الكتاب منذ بدايته إلى نهايته، على سؤال العلمانية في الفكر والمجتمع العربيين، ذلك أنّ تخصيص المجلد الثاني من الجزء الثاني، لتقديم نماذج من العلمنة يُفضي إلى الحديث عن تمظهرات العلمنة في المجتمعات العربية المعاصرة، كما يُفضي إلى مواجهة سؤال العلمنة في فكرنا وفي حياتنا السياسية. ولا شك في أن الحديث الذي ركّب المؤلف في مجلداته موضوع يومنا الدراسي، يفتح كما أشرنا آنفًا، إشارة وتلميحًا على أسئلة ومعارك العلمنة في التاريخ العربي المعاصر، إلا أننا نعتقد أن ولوج هذا الباب، يتطلب

أولاً وقبل كل شيء العناية بالمعطيات التي تستوعبها المجلدات التي حاولنا في هذه الورقة، الوقوف على جوانب من أسئلتها وخياراتها.

وبعد، نستخلص من مسعى الإحاطة المُخْتَزَلَة الذي رتّبنا في هذه الورقة أنّ العلمنة صيرورة، وإن واجهتّها في مجتمعنا وثقافتنا معارك عديدة، بعضها قائم، وبعضها يتحىّن الفرص للقيام بما يمهد الطريق لعملنة الدولة والمجتمع والثقافة، وهو ما ننتظره. فنحن نعيش في زمن يتجه لرفع غلالة السحر عن العالم، سحر الأقدمين وسحر المحدثين، من أجل المساهمة في بناء عالم من دون أسرار ... لكن هل يروقنا بناء عالم من دون أسرار؟